وفي[1] هذه السنة توفي شمس الدين بن الجبَّاب، رحمه الله[1].

ثم دخلت سنة أربع وستين وست مئة ٢٣٦

أولها يوم الثلاثاء؛ ففي أوائلها جُدِّد الحوضُ الذي هو شرقي القناة الشَّامية بباب البريد، يجري إليه الماء من القناة المذكورة في أنابيب وشاذروان في حائط القناة.

وفي سابع المحرَّم توفيت تاج خاتون ابنة الأمير فخر الدين أياز جركس، صاحب قرية بيت سوا، رحمهما الله.

وفي ثامن عشر محرَّم توفي عبد الله أَيْبك بن عبد الله؛ عتيق ناصر الدين بن القوَّاس، ويعرف بالقاضي، رحمه الله.

وفي العشرين من المحرَّم توفي العلاء علي بن البَدْر عبد المولى؛ الوكيل بمجلس الحُكْم، رحمه الله.

وفي الحادي والعشرين منه توفي الشريف الخطيب؛ الذي كان خطيباً بداريا، ثم صار إماماً بالربوة، ثم أُخذت منه، وبقي شاهداً، ثم صرف عن الشهادة.

وفي ذلك اليوم توفي الشَّرف بن الصيرفي، السَّاكن بدرب الأسديين، رحمه الله.

وفي الخامس والعشرين منه توفي عبد الله بن عثمان؛ الوكيل بمجلس الحُكْم، ويعرف بالمؤذِّن، كان أبوه عثمان مؤذِّناً بالكلاسة، رحمهما الله.

وفيها في رابع صفر توفي بهاء الدين الحسن بن سالم بن الحسن بن صَصْرَى[2]؛ أحد المعدَّلين بدمشق، من بيت مشهور بالثروة، وجدُّه الحسن كان

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب). وقد سلف ذكره ص ٨٢ من هذا الجزء

(٢) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، العبر للذهبي: ٥/ ٢٧٧، عيون التواريخ: ٢٠/ ٣٤٠، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٥، شذرات الذهب: ٥/ ٣١٦.

من أهل الحديث من أصحاب الحافظ أبي القاسم، وله رِحْلةٌ إلى العراق ـ رحمه الله ـ ودفن بالجبل.

وفي ذلك اليوم توفي الشَّمس محمد بن أحمد الحنفي الأشقر، خال ولد الصَّدْر سليمان، رحمه الله.

وفيها في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول توفي الصَّفي إسماعيل بن إبراهيم بن الدَّرجي الحنفي[1] ـ رحمه الله ـ ودُفِنَ بباب الفراديس، وعمره اثنتان وتسعون سنة، مولده سنة اثنتين وسبعين وخمس مئة، سمع على الخِرَقي وغيره.

وفي خامس ربيع الآخر توفي الشَّرف يعيش المقرئ، وكان شيخاً مُسِناً، وعهدي به شيخاً ونحن صبيان نقرأ عنده في السُّبع الكبير، ثم بقي إلى هذه الغاية، وقلَّ ما بيده، فكان كلَّ ليلةٍ بعد العِشاء يخرج يدور في الدُّروب والحارات، وهو يتلو القرآن العزيز، فمن وَضَعَ في يده شيئاً أخذه، وكنتُ آنسُ بقراءته إذا عَبَرَ على باب مسكننا، رحمه الله.

وفي السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر توفي الفَخْر بن أبي الفوارس، والد العفيف، ودُفِنَ بمكانه بالجبل، رحمه الله.

وفي أول جُمادى الأولى توفي النَّاهض معالي بن أبي الزهر، المعروف بابن الحبشي، ودفن بالجبل، رحمه الله.

وفي ثالث جمادى الأولى توفي الحاج علي المغسل المعروف بالقباقبي، ودُفِنَ بباب الصَّغير ـ رحمه الله ـ وكان حَجَّ في سنة اثنتين وعشرين وست مئة معنا، وكان مواظباً للصَّلوات في الجماعات، كثير الصَّدَقات والإحسان إلى الفقراء واليتامى، وكان إذا صلَّى الصُّبْح مع الإمام بالجامع يخرج، فيقف بالباب الأوسط من أبوابه بباب البريد، فيكبِّر ويهلِّل بصوتٍ عالٍ، ويدعو بصلاح

(١) له ترجمة في العبر للذهبي: ٥/ ٢٧٧، الجواهر المضية: ١/ ٣٩٤، النجوم الزاهرة: ٧/ ٢٢١، الدارس: ١/ ٦٠٥، الطبقات السنية: ٢/ ١٧٧ ـ ١٧٨، شذرات الذهب: ٥/ ٣١٥.

المُسْلمين ونحو ذلك، لا يكادُ يقطع هذه العادة، صلَّيتُ عليه إماماً عند مسجد جَرَّاح خارج باب الصَّغير، ودفن في مقابره حذاء تربة بني الشيرجي، وكانت له جِنازة حَفْلة جامعةٌ لأصناف الخَلْق من الخاصَّة والعامة، وكنتَ ترى اليتامى وغيرهم في جنازته يقرؤون ويترحَّمون ويبكون ـ رحمه الله ـ وذلك يوم الخميس ثالث جُمادى الأُولى.

وفي عشيَّة ذلك اليوم توفي الجمال أحمد بن عبد الله بن شُعَيْب[1]؛ الذَّهبي الكُتُبي، رفيقنا في القراءة على شيخنا عَلَم الدِّين السَّخاوي ـ رحمه الله ـ وكان تزوَّج ابنته، فولدت له، وماتت هي وولدُها قديماً، ثم بقي عَزَباً مُدَّة عمره، وخلَّف كُتُباً كثيرة وثروة، ووقف داره على فقهاء المالكية، وأوصى لهم بثُلُث ماله، وحَرَصْتُ به أن يقف شيئاً من أصول كتبه، فلم يفعل. صلَّيتُ عليه إماماً بمصلَّى ابن مَرْزوق، ودفن بالجبل يوم الجمعة رابع جمادى الأولى.

وفي سادس جُمادى الأُولى جاء من مِصْر من السُّلْطان الملك الظَّاهر بيبرس الصالحي ثلاثة عهود لثلاثةٍ من القضاة: شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الحنفي، وزين الدين عبد السلام بن الزَّواوي المالكي، وشمس الدين
٢٣٧ عبد الرحمن بن الشَّيخ أبي عمر الحنبلي، وجَعَلَ كلَّ واحد منهم قاضي القضاة كما هو المنصب لشمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خَلِّكان الشافعي، وكان في العام الأول قد فعل بديار مصر كذلك؛ ولوا أربعة، كل واحد منهم قاضي القضاة من المذاهب الأربعة، ولكلٍّ واحدٍ منهم نائب، وهذا شيء ما أظنُّه جرى في زمان سابق[2]، فلما وصلتِ العهودُ الثلاثة لم يقبل المالكي والحنبلي، واعتذرا بالعَجْز، وقَبِلَ الحنفيُّ، فإنه كان نائباً للشَّافعية، فاستمرَّ على الحُكْم، والله يسدِّد الجميع بفضله ورحمته.

(١) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ٣٥٠. وقد سلف ذكره ص ٢٧٦ من الجزء الأول.

(٢) انظر عن تعدد القضاة طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣١٩ ـ ٣٢١.

ثم ورد كتابٌ من مِصْر بإلزامهما بذلك، وأَخْذِ ما بأيديهما من الأوقاف إنْ لم يفعلا، فأجابا، ثم أصبح المالكي، فأشهد على نفسه بأنه عَزَلَ نفسه عن القضاء وعن الأوقاف، فَتُرِكَ، واستمرَّ الحنبلي، ثم وَرَدَ الأمر بإلزامه، فَقَبِلَ، واستمرَّ الجميع، لكن امتنع المالكيُّ والحنبلي من أخذ جامكية على القضاء، وقالا: نحن في كفاية. فأُعفيا منها.

ومن العجيب اجتماع ثلاثة على ولاية قضاء القضاة في زمنٍ واحد، وكل واحد منهم لقبه شمس الدِّين، واتفق أنَّ الشَّافعيَّ منهم استناب أيضاً مَنْ لقبه شمس الدين، فقال بعضُ الظرفاء:

أَهْلُ دِمَشْقَ اسْتَرَابوا ... مِن كَثْرَةِ الحُكَّامِ
إذْ هُمْ جميعاً شموسٌ ... وحالُهُمْ في ظلامِ

وقيل أيضاً:

بدمشقٍ آيةٌ قد ... ظَهَرَتْ للنَّاسِ عاما
كلَّما وُلِّيَ شمسٌ ... قاضياً زادَتْ ظلاما

وقيل[1] أيضاً:

قضاتُنا كلُّهُمْ شموسٌ ... ونحنُ في أكْشَفِ الظَّلامِ[1]

وقيل أيضاً:

أظلَمَ الشَّامُ وقد ... وَلِيَ الحُكْمَ شُموسُ
ليس فيهمْ مَن يَبُثُّ الـ ... ـحُكْمَ عِلْماً أو يَسُوسُ

وفي[2] سابع شعبان يوم الجمعة صُلِّي بالجامع صلاة الغائب على الرَّضي بن البُرْهان الواسطي التَّاجر، وقد كان انفرد برواية «صحيح» مسلم بسماعه من المؤيد الطوسي[2].

وفي حادي عشر شعبان توفي شرف الدِّين عبدُ الرحمن بن بهاء الدين

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في الأصل و(ب)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب).

سالم بن الحسن بن صَصْرى[١]، وكان من أكابر أهل دمشق جاهاً وثروةً وبيتاً. صلَّيْتُ عليه إماماً خارج باب الفَرَج، ودُفِنَ بالجبل بعد موت أخيه البهاء بستة أشهر وسبعة أيام.

وفي ثالث عشر شعبان توفي الكمال بن الجمال، إمام المدرسة الشَّامية ابن أخي الزَّين خالد[٢]، رحمنا الله وإياه بمنه وكرمه ورحمته، وعفا عنا وعنه، وعن جميع المسلمين والمسلمات[٢].

٢٣٨ وفيها في الحادي والعشرين من شعبان توفي الفخر يحيى بن الجمال علي بن التاج عبد الواحد بن الفخر بن أبي الخوف، رحمه الله، ودفن بالجبل عند أبيه وجدِّه وجد أبيه الفخر، رحمهم الله.

وفيها آخر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان توفي الفقيه شرف الدين القَزْويني الشَّافعي، وكان رجلاً صالحاً فقيهاً، متواضعاً خَيِّراً، وكان أبداً معيداً بحلب، ثم بدمشق في المدرسة العادلية[٣] والشامية المجاورة للبيمارَسْتان، وكان ساكناً بأهله بالمدرسة العادلية[٣]، وبها توفي، ودفن يوم الأربعاء بُكْرة بمقابر الصُّوفية بالشرف القِبْلي ـ رحمه الله ـ ولم أشهد جنازته، كنت غائباً ببيت لِهْيا، وخلَّف ولدين صغيرين: عبد الرحيم وعبد المجير، جبرهما الله تعالى.

وفي ثامن رمضان توفي ابن عمتي العز عبد الغفار بن علي الكناني، ودفن بمقابر الصحابة بباب الصَّغير، رحمه الله.

وفي هذا الشهر وصل السُّلْطان الظاهر بيبرس من الديار المِصْرية بعساكره، ونازل حصون الفرنج وبلادها، وشن الغارة عليها من جميع نواحيها، واستدعى بالمجانيق من دمشق.

---

(١) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ٣٥٥، عيون التواريخ: ٢٠/ ٣٤٠ ـ ٣٤١، السلوك: ج١/ ق٢/ ٥٥٤.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في الأصل و(ب)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في (ب).

وجاءنا كتاب بعض أولاد الملوك، تاريخه يوم الجمعة خامس شهر رمضان من جهة المنازلين لهم من ساحل حمص وأعمالها من ناحية حصن الأكراد وأعمال طرابلس بأنهم قد استولوا على ست مئة أسير من الرجال، وما يقارب الألف من النساء والصبيان[1] من ثلاثة حصون وستة عشر برجاً، والله تعالى يديم نَصْر الإسلام، بمنه وفضله.

وفي خامس وعشرين شهر رمضان وصل إلى دمشق ابن الخليفة المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر، أبو المناقب المبارك[2]، وهو شابٌّ، كان التَّاتار استولوا عليه لما قتلوا أباه المستعصم، وملكوا وبقي هو عندهم إلى أن كسر بركةُ هالاوو، فاتصل بالبصرة، ولحق بعرب خفاجة، فبقي عندهم [3]إلى أن جاء[3] جماعة معه منهم إلى دمشق في التاريخ المذكور، فتلقي، ٢٣٩
وأنزل في الدار الأسدية مقابل المدرسة العزيزية[1].

ونزل[4] السلطان الظاهر بِيْبَرس بعساكره على حِصْن صفد، واستدعى بالمجانيق والآلات من دمشق، وحصره في ثامن شهر رمضان، ولم يزل القتال يعمل عليه مع الزَّحْف والنَّقْب إلى يوم الجمعة ثامن عشر شوال من هذه السنة، فطلب أهلُها الأمان، ونزلوا على حكم السُّلْطان، فتسلَّمها منهم في وقت صلاة الجمعة.

وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، نزل عليها أيضاً في شهر رمضان، وتسلَّمها منهم بالأمان في شوال، قال العماد: في ثامنه، وقال ابن شداد: في رابع عشره سنة أربع وثمانين وخمس مئة[5].

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب).

(٢) في السلوك: ج١/ق٢/٥٤٩: ثم تبين كذبه.

(٣ ـ ٣) ما بينهما من (ك) و (ع) و (س)، وفي الأصل: فبقي عندهم وجماعة معه . . وأنزل في الدار الأسدية بالمدرسة العزيزية، والمثبت من (ك) و (ع) و (س).

(٤) من هنا حتى آخر حوادث سنة (٦٦٤ هـ) ليس في (ك) و(ع) و(س)، والمطبوع، والمثبت من الأصل و(ب).

(٥) انظر «كتاب الروضتين»: ٤/٤٩، ٥٠.

وتوفي[1] والعسكر على صفد الأمير علاء الدين بن رسول، رحمه الله[1].

وفي ثامن عشر شوال توفي الشيخ أحمد بن سالم المصري[2] النحوي ـ رحمه الله ـ وكان فاضلاً في علم النحو، متواضعاً خيِّراً، أقام بحلب مُدَّة، ثم قدم دمشق، وتصدَّر لإقراء النحو بالمدرسة النَّاصرية، وبمقصورة الحنفية الشرقية بالجامع، ثم توفي، ودفن بمقابر الباب الصَّغير، حضرتُ دفنه والصلاة عليه ـ رحمه الله ـ وخلَّف ابنتين صغيرتين في كفالة جدِّهما والد أُمهما الشيخ زين الدين إبراهيم بن أحمد بن أبي الفرج الحنفي، إمام مقصورة الحنفية الشرقية بجامع دمشق، وكان محبّاً للمتوفى، محسناً إليه، وتوجَّع لوفاته كثيراً، فكتب إليه بعض أصحابه بيتين حسنين، وهما:

عَزَاؤك زينَ الدِّين في الذَّاهب الذي ... بَكَتْهُ بنو الآدابِ مثنى ومَوْحَدا

هُمُو فارقُوا منه الخليل بنَ أحمدٍ ... وأنتَ ففارَقْتَ الخليلَ وأحمدا

أي فارقت من كان خليلاً لك واسمه أحمد، نقلتهما من خط ناظمهما بدر الدين يوسف بن[3] الحنفي.

٢٤٠ وفي حادي عشر ذي القعدة توفي جمال الدين محمد بن المُوْقاني[4]، ودفن[5] بالجبل رحمه الله، صليتُ عليه إماماً بمصلَّى ابن مرزوق[5]، وكان له

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب).

(٢) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠، العبر: ٥/ ٢٧٦، النجوم الزاهرة: ٧/ ٢٢١، بغية الوعاة: ١/ ٣٠٨، الدارس: ١/ ٦٠٥، شذرات الذهب: ٥/ ٣١٤.

(٣) قال إبراهيم عفا الله عنه: ولعله يوسف بن عبد الله بن محمد بن عطاء ولد القاضي شمس الدين بن عطاء، له ترجمة في الجواهر المضية: ٣/ ٦٢٩.

(٤) هو محمد بن عبد الجليل المقدسي، له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦، العبر: ٥/ ٢٧٨، عيون التواريخ: ٢٠/ ٣٤١ ـ ٣٤٢، الوافي بالوفيات: ٣/ ٢١٦، السلوك: ج١/ق٢/ ٥٥٤، شذرات الذهب: ٥/ ٣١٦.

(٥ ـ ٥) ما بينهما ليس في الأصل، والمثبت من (ب).

سماع كثير وكتب كثيرة، مولده ببيت المقدس، سمع الأوبي[١] وغيره.

وفي ثاني عشره توفي الحاج علي الحدَّاد؛ المقيم بقرية زمْلَكا؛ والد عيسى دلال الكتب، رحمه الله.

وفي سادس عشره توفي النجم بن[٢] البهاء أحمد بن الحنبلي، ودفن بالجبل، رحمه الله.

وفي ذلك اليوم، وهو يوم الثلاثاء، كان كسرة الأرمن ببلاد السِّيْس وقتل ملوكهم، وأسر بعضهم كما يأتي.

وفي بُكْرة الاثنين السادس والعشرين من ذي القعدة قرئ بجامع دمشق كتابٌ ورد من بلاد الأرمن؛ السِّيْس وما يجاورها، يتضمَّن أن المسلمين من عسكر صاحب الشام ومصر الملك الظاهر ركن الدين بيبرس [٣]الذين سيَّرهم إليها في هذه السنة دخلوها عَنْوَةً، واستولوا عليها قتلاً ونهباً[٣]، وأُسِرَ ملكها وقتل أخوه وجماعة من ملوك الأرمن، وكان ذلك يوم الثلاثاء العشرين من ذي القعدة سنة أربع وستين وست مئة. وكان هذا الملعون قد فتك في المسلمين، وظاهر عليهم العدو من التاتار ـ خذلهم الله ـ مراراً، وعمل في حلب لما فتحها التاتار أموراً منكرة، واستولى على أكثر نسائها وأطفالها أسراً، ونقلهم إلى بلاد الفرنج والرُّوم برّاً وبحراً تحت الذل والصَّغَار، فأمكن الله تعالى منه ومن بلاده، وأخذ بثأر الإسلام، ولله الحمد والشكر.

وفي ثالث[٤] ذي الحجة أوقع السلطان بيبرس بأهل قارا النَّصارى، فقتل وسبى وغنم، وكانوا ـ كما شاع عنهم ـ يأخذون من قدروا عليه من المسلمين

---

(١) في الأصل غير واضحة، وفي (ب) تقرأ: الأوبي، والذي في مصادر ترجمته سمع من أبي القاسم بن الحَرَسْتاني، والله أعلم.

(٢) بيض أبو شامة لاسم أبيه، ولم يسدَّه.

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في الأصل، والمثبت من (ب).

(٤) في (س): رابع.

ويصبحون بهم إلى بلاد الفرنج، وكان بعض الأسارى الذين خلصوا من قلعة صفد أخبروا أن سبب وقوعهم في الأسر فِعْلُ أهل قارا، ففعل السلطان بهم ذلك.

٢٤١ وفي يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة توفي فتح الدين بن نظيف ختن القاضي الصَّدر أحمد ابن سني الدولة على ابنته، ودفن بالجبل، رحمه الله.

وفي تاسع ذي الحجة يوم عرفة توفي الأمير جمال الدين أَيْدُغْدِي العزيزي[1]، ودفن بالجبل، رحمه الله.

وفي ثالث وعشرين ذي الحجة توفي بمدرستنا العادلية الشيخ الفقيه معين الدين[2] التبريزي ـ رحمه الله ـ وكان عبداً صالحاً، فقيهاً ملازماً للصلوات في الجماعات بجامع دمشق.

وفي الخامس والعشرين من ذي الحجة دخل السلطان الظاهر بيبرس دمشق، وبين يديه ابن صاحب سِيْس وسائر الملوك الذين أسرهم لما أخذ بلادهم على نهر جيحان وخربها، وكان يوماً مشهوداً، مرَّت فيه العساكر الإسلامية، ومعهم الأسارى والغنائم المأخوذة من بلاد السِّيْس. ثم توجه السُّلْطان إلى مصر.

وجاءنا الخبر أنه توفي بمصر التاجر الأوحد التِّبْريزي، وكان أحد المُعَدَّلين بدمشق، ثم سافر إلى مصر في جفلة التاتار، رحمه الله.

٢٤٢ **ثم دخلت سنة خمس وستين وست مئة**

أولها يوم الأحد.

ففي ثاني المحرَّم خَرَجَ السُّلْطان الظَّاهر بِيْبرس من دمشق إلى مِصْر، سلَّمه الله تعالى.

---

(١) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٤، العبر للذهبي: ٥/ ٢٧٧، عيون التواريخ: ٢٠/ ٣٤٢، الوافي بالوفيات: ٩/ ٤٨٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٦٤ هـ)، السلوك: ج١/ ق٢/ ٥٥٤، النجوم الزاهرة: ٧/ ٢٢١، شذرات الذهب: ٥/ ٣١٥ ـ ٣١٦.

(٢) بيض أبو شامة لاسمه، ولم يسمِّه.